مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

نفقات الدولة الإسلامية في العراق خلال عهدي الإمام علي وولده الحسن (عليهما السلام) (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦١م)

مقدمة

ارتبطت نشأة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ طفولته، إذ نشأ في حجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأدب بأدبه، وعندما تولى الخلافة سنة (٣٥هـ/ ٦٥٦م) بعد مقتل عثمان بن عفان أدخل تغييرات كثيرة على الأمصار والبلدان وأتبع سياسة جديدة تختلف عمن سبقه من الخلفاء مستنداً إلى مبدأ المساواة والعدالة بين المُسلمين.

أكّد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بصورة خاصة على سياسته المالية وواردات الدولة المالية وآلية إنفاقها، حيث شدد على أن تنفق تلك الأموال لتطوير الحياة العامة من خلال ايجاد فرص العمل وتقليل البطالة ورفع المستوى المعاشي، وأكد على الإنفاق العادل للأموال دون أي تمييز لذلك أهتم بأبواب الإنفاق المختلفة لكيلا تنحصر الأموال بيد فئة على حساب الأخرى، وتميزت السياسة المالية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالعدل والشدة ومحاسبة المفسدين.

الكلمات المفتاحية: السياسة المالية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإنفاق، نفقات، إنفاق عسكري، العطاء.

تاريخ تقديم البحث: ١٢/ ١/ ٢٠٢٥
تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/٢/٩

أ.م.د. عطارد تقي عبود(*)
بيداء شاكر محمود حمادي(**)

المبحث الأول

نفقات الدولة الإسلامية في العراق في عهد الإمام علي (عليه السلام)

يُعد عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مرحلة محورية في تاريخ الدولة الإسلامية المبكرة، تميزت بظروف سياسية واجتماعية معقدة نتجت عن فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان، مما أثر بشكل مباشر على إدارة الدولة ونفقاتها، وقد تولى الإمام علي الخلافة في ظل انقسامات حادة داخل الأمة، ما استدعى منه سياسة إصلاحية قائمة على العدل، والزهد، وترشيد الإنفاق العام.

ولادة الإمام علي (عليه السلام)

وُلد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مكة المكرمة، داخل جوف الكعبة، في يوم الجمعة الثالث عشر من رجب، السنة الثالثة عشر قبل الهجرة،

(*) جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

وهـو ما يُعد خصيصة فريدة لم يُمنَ بها أحد قبله أو بعـده، دلالة على عظم مكانته عند الله ورسـوله[١]، ومـن ألقابه: «أمير المؤمنين، وسـيد العرب، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وقائد اللواء، وزوج فاطمة الزهراء، ونفس النبي، وأخوه»[٢].

موقف الإمام من الخلافة

لم يكـن الإمام عـلي طامعًا في السـلطة، بل كان همـه الأكـبر هو صـون الديـن ووحدة الأمـة، وقد بـرز دوره الفقهـي والسـياسي منـذ العهـود الأولى للإسلام، حيث كان مرجعاً في الفتوى والقضاء في عهدي أبي بكر وعمر، لما له من عمق فكري وديني، عند وفاة عثمان بـن عفان، اضطرت الأمة إلى بيعته بعد سـبعة أيام من مقتلـه، في (٣٥هـ/ ٦٥٥م)، في ظـل فتنـة متصاعـدة وانقسـامات طائفيـة[٣]، وقد قبـل الخلافـة آنذاك بهـدف إطفـاء الفتنـة، وإعادة لُحمة الأمـة، وترميم النظام السـياسي المتدهور[٤]، خـلال عهد الإمام عـلي، كانت الدولة الإسـلامية قد امتدت جغرافيًا من شرق آسيا إلى شمال أفريقيا، بعـد أن تجـاوزت حـدود الجزيـرة العربيـة خـلال عهدي أبي بكر وعمر. وقد دخلت قبائل غير عربية في الإسـلام، ما زاد من تعقيدات الإدارة والإنفاق العام[٥].

منهج الإمام في الحكم

اتسـم منهـج الإمـام عـلي بالزهـد، والعـدل، ومحاربـة الفسـاد، ورفـض المحسـوبية، فقـد أولى اهتمامًا بالغًا بترشـيد نفقات الدولـة، وعزل الولاة الذين سـببوا استياء الرعية، وخصوصًا ولاة عثمان الذين اشـتُكِيَ من جورهم وفسـادهم، واستبدلهم بـولاة أمنـاء، أمثال مالك الأشـتر في مـصر، وكان يُصرّ على اختيار الولاة والمسؤولين بناءً على الكفاءة والثقـة الدينية، وليس الصداقة أو القرابة، مما أبعده عـن دوائـر المصالـح الشـخصية، وجعلـه موضع عـداء بعـض النخبة التـي رأت في سياسـته تهديدًا لمكانتها[٦].

خطبته الأولى بعد تولي الخلافة

في خطبته المشـهورة بعـد بيعته قال: «إن الله عز وجـل أنزل كتابًـا هاديًا مهديًا بين فيـه الخير والشر فخذوا بالخـير ودعوا الشر، الفرائض ادوها إلى الله سـبحانه وتعالى يؤدكم إلى الجنة، إن حرّم حرماً غير مجهول وفضل حرمة المُسـلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص وتوحيد المُسـلمين، والمُسـلم من سلم الناس من لسـانه ويده إلا بالحق، اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده، فإنكم مسـؤولون حتَّى عن البقاع والبهائـم، أطيعـوا الله عـز وجل ولا تعصـوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه»[٧].

هذهِ الخطبة تعكس رؤيتـه الإصلاحية القائمة على التقوى، والمسؤولية الاجتماعية، والعدالة.

التحديات المالية والسياسية

شـهد عهـد الإمـام عـلي تحديـات كبـيرة، من أبرزها:

- الانشقاقات الداخلية، مثل معارضة معاوية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

بـن أبي سـفيان، وتمـرد عائشـة والزبـير وطلحة في معركة الجمل[٨].

– الخـلاف حول مقتل عثـمان، الذي تحول من قضيـة أمنية إلى أزمة سياسـية عميقة، استُخدمت كذريعة للتمرد على شرعيته.

– النفقـات العسـكرية، حيـث اضطـر إلى تمويـل حروب الدفاع عـن الدولة، كمعركة الجمل وصفين، ما أثّر على ميزانية الدولة[٩].

رغم ذلك، حافظ الإمام على سياسـة اقتصادية متحفظة، تجنـب فيها الترف، وحـرص على توزيع الإيـرادات بعـدل بـين المُسـلمين، ودعـم الفقـراء والضعفاء.

الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية

اتخـذ الإمام عـلي بن أبي طالب (عليه السـلام) الكوفـة عاصمة للدولة الإسـلامية بعد عودته من معركة الجمل في سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، وذلك في ظل تفاقم الأوضاع السياسية بعد مقتل عثمان بن عفان واندلاع الحروب الأهلية. جاء اختيار الكوفة نظرًا لموقعهـا الاسـتراتيجي الـذي يمكّـن الحكومة من السـيطرة عـلى مختلـف مناطـق الدولة، فضـلًا عن كونها مركزًا إداريًا وعسكريًا مهمًا[١٠].

كانـت الكوفـة تتمتـع ببنيـة سـكانية متعددة، حيث اسـتقرت حولها قبائل عربية ومـوالٍ، وامتد تجمعها السـكاني شـمالًا باتجاه نهر الفرات. وقد تم تهيئـة المدينة لتكون مركز قوة الدولة، حيث أُعدّت مراكـز للجيـش والإدارة، واسـتُخدمت أراضيها، كمزارع النخيل، لدعم التجمعات العسكرية[١١].

تحـول الكوفـة إلى عاصمـة أدى إلى تراجـع الـدور السـياسي والاقتصـادي للمدينـة المنـورة، التـي بـدأت تفقـد مكانتهـا المركزيـة تدريجيًا، وفي المقابل واصلت دمشـق التـي كانت عاصمة لولاية الشـام في عهد عمـر وعثمان تعزيـز موقعها خاصة تحـت حكم معاويـة بن أبي سـفيان، الذي اسـتغل الظروف للنيل من شرعيـة الإمام علي (عليه السلام) زاعمًا الدفـاع عن دم عثـمان، رغم علمه ببراءة علي (عليه السلام) وأنصاره، وقد سعى معاوية إلى تفتيت جبهة الإمام علي عبر التلاعب السـياسي والمالي، مثلما حدث مع يزيـد حجيه التميمي[١٢]، الذي اسـتولى على أموال الـري، كما تميز موقـف الإمام علي بالحـزم في إدارة الشـؤون، حتّى مع المقربين، كـما ظهر في تعامله مع أخيه عقيل بن أبي طالب بعد ان طلب تسـديد دين له[١٣]، حيث أكّد أن العدل فوق النسب، قائلاً: «ما انـا وأنت فيه إلا بمنزلة رجلين من المُسـلمين»[١٤]، يُذكـر أن الإمام عـلي لم يكن من أثريـاء قريش، بل كان قبل توليه الخلافة ناقدًا لسياستهم الاقتصادية، ومحذرًا من تركز الثروة لدى طبقة من المُسلمين[١٥].

النفقات العسكرية للإمام علي في العراق

تجـلّى موقـف الإمـام عـلي (عليه السلام) مـن الأهميـة القصـوى للقـوة العسـكرية في بدايـة خلافتـه، حيـث أولى اهتمامًـا بالغاً ببناء جيـشٍ قويّ لمواجهة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

التحديات الداخلية والحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية[١٦].

في سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م) وبعد تولّيه الخلافة واجه الإمام علي تمردًا مسلحًا بقيادة طلحة بن عبيد الله[١٧]، والزبير بن العوام[١٨]، وعائشة بنت أبي بكر، الذين خرجوا بالمطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان، ما أدى إلى وقوع معركة الجمل قرب البصرة. وقد استُخدمت في هذهِ المعركة إمكانيات بيت المال لتجهيز الجيش من سلاح ونفقات عسكرية، حيث سار الإمام من المدينة إلى الكوفة، ثم إلى البصرة، ومعه نحو سبعمائة من المهاجرين والأنصار، انتهت المعركة بانتصار الإمام [١٩].

لكن التحدي الأكبر جاء من معاوية بن أبي سفيان، والي الشام، الذي رفض البيعة وطالب بالقصاص من قتلة عثمان، وسعى إلى زعزعة استقرار الدولة، في سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)، تواجه الجيشان في معركة صفين على ضفاف الفرات، حيث اتبع معاوية سياسة حصار مائي، بمنع جيش الإمام من الوصول إلى النهر، مما تسبب في شدة العطش، رغم ذلك أذن الإمام لهجوم مضاد لفتح طريق الماء، ثم عبّأ جيشه تعبئة عامة، وحثّ جنوده على الصبر والعدل[٢٠]، ووصاهم بعدم البدء بالقتال، قائلاً: «إلا تقاتلوا القوم حتَّى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة»[٢١]، وخلال مفاوضات الصلح مثل الإمام أبو موسى الأشعري[٢٢]، بينما مثل معاوية عمرو بن العاص، اللذان أبرما حكمًا أدى إلى تقسيم الجماعة، واستُغلّ داخليًا من قبل أشخاص كالأشعث بن قيس[٢٣]، الذي ساهم في تفرقة موقف الجيش[٢٤].

يتبين من خلال ما تقدم ان تم إنفاق اموال كثيرة على الجانب العسكري حيث يتّضح أن الإمام علي (عليه السلام) انفق مبالغ كبيرة من بيت المال على:

- تجهيز الجيوش للمعركتين الرئيسيتين: الجمل وصفين.

- تأمين السلاح، والمؤن، والتنقلات العسكرية من المدينة إلى الكوفة، ثم البصرة.

- إعادة تدريب الجيش خلال سنة واحدة بين المعركتين.

- مواجهة الفتنة وحماية الدولة من التفكك.

رغم الظروف الصعبة، أولى الإمام علي (عليه السلام) الأولوية القصوى للجيش كأداة لحفظ الأمن والاستقرار، واعتمد على موارد الدولة بشكل منظم، مما يدلّ على رؤية سياسية وعسكرية ناضجة، هدفها إخماد الفتن الداخلية، وحفظ وحدة الدولة الإسلامية على منهج القرآن والسنة.

السياسة الاقتصادية للإمام علي (عليه السلام) في العراق:

تُعد السياسة الاقتصادية في الإسلام نظامًا شاملاً مستمدًا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث يُبنى الاقتصاد الإسلامي على الأحكام الشرعية التي تنظم جميع جوانب الحياة، بما

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

في ذلك الجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية، وقد كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كأول حاكم إسلامي يُطبّق هذهِ الأحكام في ظل دولة قائمة، نموذجًا عمليًا لتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي بروحه ومقاصده[٢٥].

لقد استندت سياسة الإمام علي (عليه السلام) الاقتصادية إلى مبادئ الشريعة الإسلامية، وركّزت على العدالة، والمساواة، وحماية الملكية، وترشيد الإنفاق، وتحقيق التنمية الشاملة. وقد اهتم الإمام بالجانب الاقتصادي اهتمامًا بالغًا، ليس فقط باعتباره أداة لتسيير دفة الدولة، بل كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية ومنع التفاوت الطبقي[٢٦].

أركان السياسة الاقتصادية للإمام علي (عليه السلام)

١. احترام الملكية الخاصة وتحريم الاعتداء على الأموال:

أكد الإمام علي (عليه السلام) على حرمة مال المُسلم، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، واعتبر أن "أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ دون حقه"، وقد جعل من الأحكام الشرعية الفيصل الوحيد في تسيير الشؤون الاقتصادية، ورفض أي تدخل في ممتلكات الأفراد ما لم تكن هناك ضرورة شرعية[٢٧].

ومن مواقفه المعروفة في هذا الصدد، قوله حين دخل الكوفة: « دخلت بلادكم بأشمالي هذهِ ورحلتي وراحلتي ها هي فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فأنني من الخائنين، وفي رواية أخرى: «يا أهل البصرة، ما تنقمون؟ ان هذا لمن غزل أهلي»، وأشار إلى قميصه»[٢٨]، كما أغلظ على عماله وصية في حفظ الأمانة، فقال لزياد بن أبيه، عامله في البصرة.

٢. توزيع الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية:

كانت سياسة الإمام علي (عليه السلام) قائمة على المساواة في التوزيع وعدم التمييز بين الناس في العطاء. فقد رفض سياسة التفضيل التي اتبعها بعض الخلفاء السابقين، والتي أدّت إلى تكوّن طبقة من الأثرياء على حساب باقي الشعب[٢٩]، وقد أوضح موقفه بقوله: « أتأمرني أن أطلب النصر بالجور، فيمن وليت عليهم، والله لا أطور به ما سَمرَ سمسر، وما أمَّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وأنما المال مال الله»[٣٠].

٣. تعمير الأرض وتشجيع الزراعة:

اعتبر الإمام علي (عليه السلام) أن تعمير الأرض هو السبيل الوحيد لازدهار الدولة وضمان استقرارها. وقد أولى اهتمامًا كبيرًا بالزراعة، واعتبر الأرض الزراعية من أهم عناصر الإنتاج [٣١]، وفي وصيته لمالك الأشتر، والي مصر، قال: «ومن طلب الخراج بغير عمارة، فقد أخرب البلاد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً»[٣٢]، كما أوصى أحد عماله قائلاً: «ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، فإن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد»[٣٣]، وقد أنفق كثيرًا من أموال بيت المال في حفر الأنهار وشق القنوات واستصلاح الأراضي، وبناء الأسواق وذلك لدعم الإنتاج الزراعي وتحقيق الاكتفاء الذاتي[٣٤].

٤. النظام المالي والضريبي:

أ. تحديد الخراج حسب نوع المحصول والخصوبة:

اعتمد الإمام علي (عليه السلام) نظامًا دقيقًا في تحديد الخراج، حيث ربط قيمة الضريبة بنوع المحصول، وخصوبة الأرض، وقربها من الأسواق. ومن أمثلة ذلك:

- جراب النخيل: ٨ دراهم.
- جراب القصب: ٦ دراهم.
- جراب الشعر: ٢ دراهم.
- جراب الزيتون: ١٢ درهمًا.

وفي المناطق التي يُزرع فيها القمح بكثافة: درهم ونصف الصاع [٣٥].

وفي الزرع المتوسط: درهم

وفي الزرع الرقيق: ثلثا درهم

أما الشعير: نصف قيمة القمح

وفي بساتين النخيل والأشجار: ١٠ دراهم لكل جريب

وفي الكرم بعد دخول السنة الرابعة: ١٠ دراهم

وكل نخلة: شاة[٣٦].

ب. إصلاح الأنهر وتحصيل الخراج:

أدرك الإمام أهمية المياه في الزراعة، فأوصى بإصلاح الأنهر باعتبارها «أعظم فائدة في جباية الخراج واستقرار الأموال» وقد كتب إلى عامله في أحد الأقاليم: « قد ذكر لي قوم من أهل عملك أن لهم نهرًا، وأنهم حفروه واستخرجوا به أرزاقهم... فدعهم، فإن النهر لمن عمل فيه»[٣٧].

٥. الزكاة ودورها في توزيع الثروة:

كانت الزكاة من المصادر المساعدة لبيت المال في عهد الإمام علي (عليه السلام)، وإن كانت أقل من عهود الخلفاء السابقين بسبب الظروف السياسية والفتنة التي أثرت على جباية الضرائب، وقد حث الإمام الناس على أداء الزكاة، وربط بين كفاية الفقراء وأداء الأغنياء لواجباتهم المالية، قائلاً: " فرض الله على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا، فحق على الله أن يحاسب الأغنياء يوم القيامة "[٣٨].

وأوصى عمال الزكاة بعدم أخذ «الحرزات» (أفضل أموال الناس)، مثل:

- الربة: الشاة التي يتبعها ولدها

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

- المخاض: الأنثى التي أعدّت للذبح

- الداجن والمواشي المرباة للإنتاج

وكان عمال الزكاة يُفرّقون المال بين صنفين، ويختار صاحب المال ثلثًا من الأول، ويؤخذ من الثاني ما يستحقه من الزكاة[٣٩].

٦. الرقابة على الأسواق وضبط التجارة:

كان الإمام علي (عليه السلام) يهتم بالتجارة باعتبارها ركيزة اقتصادية، واتخذ إجراءات لحماية الأسواق من الغش والاحتكار، وقد طاف بنفسه بأسواق الكوفة، ووجّه التجار بقوله: "يا معشر التجار، قدموا الاستخارة، وتبكروا بالسُوق، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتنحوا عن اليمين، وجنّبوا بيع القاذيب، ولا تلبسوا الجلاد، وأنا الظالم، وأنصف المظلومين. ولا تقلبوا الربا، واقفوا الكيل والموازين، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين"[٤٠].

وأنشأ جهازًا أمنيًا يُعرف بـ«شرطة الخميس» لمراقبة الأسواق، وفحص البضائع، ومنع استعمال العملات المزيفة، والتحكم في الأسعار، وضمان استقرار السوق»[٤١].

٧. السياسة النقدية والاستقلال الاقتصادي:

اتخذ الإمام علي (عليه السلام) خطوة تاريخية بضرب العملة الإسلامية، مما مثّل استقلالًا اقتصاديًا عن التأثيرات الخارجية، وأكمل بذلك قوام النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية[٤٢].

٨. معاملة أهل الذمة:

فتح الإمام علي (عليه السلام) لأهل الذمة أبواب العمل في الزراعة والصناعة والتجارة، وضمن لهم الأمن على أموالهم ونفوسهم، ورفع الجزية عن كل من أسلم منهم، وقد وصاهم خيرًا، وقال: "أن يقاتل من أجل سلامتهم، ولا يُكلّفوا فوق طاقتهم"[٤٣]، وقد أكد على عدالة المعاملة، ففي قضية مع أسقف نجران، كتب له: «إني وفيت لكم بما كتب لكم النبي مُحَمَّد، وأبو بكر، وعمر. فمن أتى عليكم من المُسلمين فلا يضام أحد منكم، ولا يظلم، ولا ينقص من حقوقكم»[٤٤].

٩. الإنفاق العام وشفافية المالية:

كانت سياسة الإمام علي (عليه السلام) في الإنفاق قائمة على الشفافية، حيث كان يُنفق كل ما يدخل بيت المال فورًا على المستحقين، دون ادّخار، إلا ما يُحتاط به للأزمات، وقد قال له يومًا أحد الصحابة: "امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر»، ثم قام فوزع كل شيء، وقال: « يا صفراء، يا بيضاء، غري غيري «[٤٥]، وقد كان نصيب كل فرد من بيت المال يتراوح بين ٩ إلى ٤٠ درهمًا سنويًا، وهو مبلغ كافٍ لتلبية الحاجات الأساسية من مسكن، وطعام، وشراب[٤٦].

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

المبحث الثاني

نفقات الدولة الإسلامية

في العراق في عهد الإمام الحسن(عليه السلام)

خلال فترة خلافته القصيرة، أولى الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) اهتمامًا كبيرًا بالبعد الاقتصادي، لاسيما في العراق، حيث كانت الكوفة مركزًا سياسيًّا وعسكريًّا رئيسيًّا لحكومته، وقد اتّسمت سياسته المالية بالعدالة، ودعم المقاتلين، وتحصين الجبهة الداخلية ضد تهديدات معاوية بن أبي سفيان.

من أبرز القرارات الاقتصادية التي اتخذها الإمام الحسن (عليه السلام) بعد بيعته هو مضاعفة العطاءات (الرواتب) للمقاتلين في جيشه. فقد أدرك أن استقرار الجبهة العسكرية يعتمد على ولاء الجنود، خصوصًا في ظل التحديات الكبيرة التي تواجهه من معاوية، الذي كان يوظف المال لشراء الولاءات، ورد في بعض المصادر أن الإمام أمر بزيادة العطاء من «مائة درهم» إلى «مائتين» أو أكثر، وذلك لضمان تمسك الجيش به، وتحفيزه على مواجهة العدوان[٤٧].

وكان الحسن (عليه السلام) إذا دخل بيت المال، يقسمه بين الناس، ولا يدخر شيئًا، ويقول: "إني أخاف أن أُسأل عن المال يوم القيامة"[٤٨]، كما أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان يُسرف في العطاء، لكن هذا التعبير لا يعني الإسراف المذموم، بل يدل على السخاء والإنفاق الواسع لدعم المؤمنين والمقاتلين في مواجهة الفتنة[٤٩].

وقد أُعدّ جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بشكل جيد، حيث تم تزويده بالسلاح والمؤن والخيول، وضُمّن في النفقات تأمين "العُتُق" (العبيد المحررين أو الجنود المُعَدّين)، إضافة إلى توفير الأرزاق اليومية للجند، ويُروى أنه كان يُنفق من ماله الخاص عندما نفد بيت المال، تأكيدًا على مبدأ التضحية والزهد في الدنيا[٥٠].

وقد أكّد هذا النهج الاقتصادي على العدالة التوزيعية، ورفض الامتيازات الطبقية، حيث كان الإمام يُوزع المال على الجميع دون تمييز، شريطة الولاء للحق ومحاربة الظلم. كما رفض التفاوت الطبقي الحاد، وحرص على ألا يُستأثر النخبة بالثروة، وهو ما يُعد استمرارًا لنهج والده الإمام علي (عليه السلام) في العدالة الاقتصادية[٥١].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الخاتمة

يمثل عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نموذجًا فريدًا في الحكم الإسلامي القائم على العدل، والزهد، والمسؤولية. وعلى الرغم من الظروف الاستثنائية التي شهدها، فإن سياسته المالية والإدارية ظلت متمسكة بمبادئ الشريعة، وسعيًا نحو إصلاح الأمة. ورغم قصر مدته (خمس سنوات)، إلا أنها تركت أثرًا عميقًا في الفكر السياسي الإسلامي، خصوصًا في مفاهيم الشورى، والمساءلة، وترشيد الإنفاق العام.

وقد كانت سياساته الاقتصادية انعكاسًا مباشرًا لمقاصد الشريعة الإسلامية، وسعيًا جادًا لبناء مجتمع عادل، خالٍ من الطبقية، قائم على العمل، والإنتاج، والتضامن الاجتماعي حيث قام بعدة امور منها:

١. أقام نظامًا اقتصاديًا قائمًا على العدالة والمساواة.

٢. أولى اهتمامًا بالغًا بعمارة الأرض وتنمية الزراعة.

٣. حرص على شفافية المالية العامة وعدم تكديس الأموال.

٤. ضبط الأسواق وحارب الغش والاحتكار.

٥. عزز مبدأ الشورى والرقابة على العمال.

٦. حقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

أما عهد الإمام الحسن (عليه السلام):

يتضح أن سلوك الإمام الحسن (عليه السلام) في المجال الاقتصادي حرصه على:

- تقوية الجبهة العسكرية عبر عطاءات منتظمة وسخية.

- تحقيق العدالة في توزيع الثروة.

- تفادي تراكم المال في يد فئة دون أخرى.

- الاعتماد على بيت المال في خدمة المصلحة العامة، لا المصالح الشخصية.

وقد كان هذا النهج يهدف إلى صون الوحدة الإسلامية، ومواجهة الفتنة بالعدل قبل السيف، حتّى وإن اضطر في النهاية إلى قبول الصلح لحماية دماء المُسلمين.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الهوامش

١. البيشوائي، مهدي، الأئمة الأثني عشر، ج١، ص٩٣.

٢. الاثربلي، بهاء الدين، كشف الغمة في معرفة الأئمة.

٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٧.

٤. المجمع العلمي لأهل البيت، أعلام الهداية الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ص١٧٧.

٥. الكعبي، عبد الحكيم، موسوعة التاريخ الإسلامي (عصر الخلفاء الراشدين)، ص٢٣٠.

٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤- ٥.

٧. النجم، مهدي عبد الحسين، ثورة العلويين، ص٤١- ٤٢.

٨. معركة الجمل: هي المعركة الأولى التي حدثت سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م) خاضها الإمام علي في زمن خلافته.

٩. وبما ان اصحاب الجمل نكثوا بيعتهم للإمام علي فسموا بالناكثين وكان قادتها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت ابي بكر وكانت الغلبة في المعركة لجيش الإمام. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٢١.

المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤-٥.

١٠. البلاذري، أنساب الاشراف، ج٤، ص١٧٣؛ المجمع العلمي، أعلام الهداية الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ص٢٠٢.

١١. عبد السادة، رسول كاظم، النخيلة معسكر الإمام علي في الكوفة، ص٦٤-٦٦.

١٢. يزيد بن حجية التميمي: أبن خالد بن حجية بن عبد الله بن عائذ شهد صفين مع علي وكان أحد الشهود في كتاب الصلح وكان من أصحاب علي أستعمله على الري فجمع ماهما، واحتمله وقدم به إلى الكوفة فبلغ علياً فسأله عن المال فجحده فهرب إلى الشام حيث معاوية. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٥٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٧، ص٣٣٢.

١٣. إبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٦٢.

١٤. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص١١٣.

١٥. عمارة، مُحَمَّد، علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، ص٢٦- ٢٧.

١٦. مُحَمَّد، اويس كريم، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص١٣٠-١٣١.

١٧. طلحة بن عبيد الله: التيمي القرشي أحد الصحابة وابن عم الخليفة الأول أبي بكر واحد الستة أصحاب الشورى الذين أختارهم عمر لاختيار الخليفة من بعده، وكان في مقدمة المبايعين للأم علي إلا أنه سرعان ما نكث بيعته، (ت: ٣٦هـ/ ٦٥٦م). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٦٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٨٨؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٥٧.

١٨. الزبير بن العوام: ابن عمة النبي، وابن أخ خديجة بنت خويلد، أعتنق الإسلام مبكراً ودافع عنه، خالف بيعة أبي بكر وبقي كذلك حتَّى بايع الإمام علي ثم نكث بيعته، (ت: ٣٦هـ/ ٦٥٦م). ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٠٨.

١٩. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٨١.

٢٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٨٤.

٢١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦.

٢٢. أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري، من كبار الصحابة وأحد فقهاء الصحابة وقرائهم، أسلم مبكراً في اليمن وهاجر للحبشة، ثم قدم للمدينة بعد فتح خيبر ولاه النبي على زبيد وعدن ثم كان والياً على الكوفة والبصرة في خلافة عثمان (ت:٤٤هـ). العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٨١.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

٢٣. الأشعث بن قيس: اسمه معدي كرب بن قيس، لقب بالأشعث لشعره، كان سيد قبيلة كندة في وقته وأحد زعمائها البارزين أسلم في عهد النبي ثم ارتد بعد وفاته، كان له دور كبير في الفتنة الكبرى بين الإمام علي ومعاوية، إذ كان من رؤوس لقبائل في جيش الإمام علي، وله موقف معروف في قضية التحكيم بصفين، (ت: ٤٠هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٧-٤٣.

٢٤. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦.

٢٥. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٥٥.

٢٦. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٩١.

٢٧. وناس، زمان عبيد، التوزيع والرقابة المالية، ص١٦٤.

٢٨. إبن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٦٧.

٢٩. وناس، زمان عبيد، توازن السوق في الفكر الاقتصادي، ص٢١٦.

٣٠. مُحَمَّد، أويس كريم، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٤١٤.

٣١. الحسيني، مُحَمَّد طه حسين، التنظيم المالي للدولة (منذ صدر الإسلام حتَّى سقوط الدولة العثمانية)، ص٩٦.

٣٢. الثقفي، ابراهيم بن مُحَمَّد، الغارات، ج١، ص٤٧- ٤٨.

٣٣. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج١، ص١٧٢.

٣٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٠.

٣٥. الصاع: هو قياس قديم للحجم من العالم الإسلامي وله أهمية ثقافية ودينية، الصاع النبوي يساوي أربعة أمداد بمد النبي ويساوي تقريباً لـتران ونصف. أبي عبيدة، الأموال، ٥١٧؛ الكليني، الكافي، ج٢٠، ص٢٣٣.

٣٦. مُحَمَّد ضيف الله، الحياة الاقتصادية، ص٧٩- ٨٠.

٣٧. أبو يوسف، الخراج، ص٧٤.

٣٨. البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٣٧.

٣٩. البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٣٧.

٤٠. الكليني، الكافي، ج٥، ص١٥١.

٤١. السعد، غسان، حقوق الأنسان عند الإمام علي، ص٣٢٢.

٤٢. شاكر، محمود، الخلفاء الراشدين، ص١٩٦.

٤٣. الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١، ص٤١.

٤٤. الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١، ص٤١.

٤٥. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٩.

٤٦. البحراني، شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٢١٦.

٤٧. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٢٥.

٤٨. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤١٨.

٤٩. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٣.

٥٠. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي، ١٢، ص٣٢٧.

٥١. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي،ج٢، ص٤٨-٥٤.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

Expenditures of Islamic State in Iraq during reigns of Imam Ali and his son Hassan

Dr. Attarid Taqi Abboud

Bedaa Shaker Mahmoud Hamadi.

Babylon University\College of Education for Human Sciences

Summary

Imam Ali ibn Abi Talib had an impact on the economic aspect, especially in Iraq's spending and spending on the military, administrative, commercial, industrial, eastern and agricultural aspects. He paid a lot of attention to agricultural aspect because he considered agriculture the basis for eradicating poverty, so he spent on the reconstruction and repair of irrigation. On construction of land, he stressed the need to develop land before taking tax, because devastation of land leads to devastation of country, His financial policy of fair spending led to many of his army complaining and going to Muawiyah, this economic policy of equality in giving to establish a balanced society in which there is no place for feudalism led to the overthrow of his government.

Keywords: The financial policy of Imam Ali bin Abi Talib, spending, equality in giving.